الباب الثاني

الإطار النظري

الفصل الأول

١-تعريف التفسير الموضوعي.

سوف نجد تعريفات متنوعة وشتي مأخوذة من تدرج وتكامل هذا العلم حيث مر بمراحل متعددة إلى أن أصبح علماً مشهوراً ومدروساً له ضوابطه وخصائصه. وممن أسهم فيه الفرماوي حيث ذكر: "اسم التفسير الموضوعي اصطلاح مستحدث، أطلقه العلماء المعاصرون على جمع الآيات القرآنية ذات الهدف الواحد، التي اشتركت في موضوع ما، وترتيبها حسب النزول، مع الوقوف على أسباب النزول، ثم تناولها بالشرح والبيان والتعليق والاستنباط، وإفرادها بالدرس المنهجي الموضوعي، الذي يجليها من جميع نواحيها وجهاتها، ووزنها بميزان العلم الصحيح، الذي يبين الباحث معه الموضوع على حقيقته، ويجعله يدرك هدفه بسهولة ويسر ويحيط به إحاطة تامة، تمكنه من فهم أبعاده، والذود عن حياضه"١.

فهو قد أعم من أن يكون تعريفاً لأنه غلب عليه الشرح والتوضيح لمعني التفسير الموضوعي. وتحدث الدكتور عبد الستار عنه بقوله: "هو علم يبحث في قضايا القرآن الكريم المتحدة معني أو غاية، عن طريق جمع آياتها المتفرقة، والنظر فيها، على هيئة مخصوصة، وبشروط مخصوصة، لبيان معناها، واستخراج عناصرها، وربطها برباط جامع"٢. فقد خلص به لوناً واحداً للتفسير الموضوعي وهو الموضوع القرآني، ولم يتطرق للألوان الأخرى.

١-الفرماوي، *البداية في التفسير الموضوعي*، ٥٢.

٢-عبد الستار فتح الله سعيد، *المدخل إلى التفسير الموضوعي*(القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط٢، ١٤١١هـ-١٩٩١م)، ٢٠.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

٢-نشأة التفسير الموضوعي.

التفسير الموضوعي قديم النشأة، وقد تطور على مر العصور مثل غيره من العلوم حتي انتهي إلى اصطلاح معلوم الأوصاف والأركان، ومر التفسير بمراحل متعددة وكان يأخذ أنماطاً وأحوالاً متباينة حسب المراحل التي تندرج فيها، وكانت أحوال المسلمين عبر هذه المراحل، ومدي حاجتهم إلى هذا اللون من التفسير، ودوراً هاماً في بروز هذا التفسير إلى انتهي في آخر مراحله علماً له أصوله وقواعده ونظريته التي ينطلق منها ويعتمد عليها،٣ وسوف نحاول أن نري تلك المراحل من خلال سردنا لهذه الخطوات المهمة التي برزته بهذه الكيفية.

أ-الفترة النبوية الشريفة.

وهو عهد البداية للتفسير العام، والموضوعي على السواء وكان ذلك عن طريق القرآن نفسه، والسنة النبوية. ويؤكد عبد السلام بقوله:

فأول مراحل هذا اللون من التفسير بدأت منذ عهد النبوة حيث كان النبي صلي الله عليه وسلم يفسر بعض الآيات فيما يتعلق بالموضوع الواحد، مما يؤكد ذلك ما رواه الشيخان عن ابن مسعود ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية (الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)٤شق ذلك على أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله وأينا لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)٥ إنما هو الشرك٦، فإذاً المراد بالظلم في الآية هو الشرك كما وضحت آية سورة لقمان"٧.

٣-عبدالسلام حمدان اللواح، *"وقفات مع نظرية التفسير الموضوعي"*، *مجلة الجامعة الإسلامية سلسلة الدراسات الإسلامية*(المجلد الثاني عشر العدد الأول يناير ٢٠٠٤م)، ٥٢.

٤-القرآن، ٦: ٨٢.

٥-القرآن،٣١: ١٣.

٦-البخاري، صحيح، كتاب التفسير، تفسير سورة لقمان الجزء٦ ،٢٠، أبو الحسن بن الحجاج، *صحيح مسلم*(بيروت: دار احياء التراث العربي، مجهول سنة النشر)، كتاب الإيمان باب(٥٦) صدق الإيمان وإخلاصه، رقم ١٩٧، الجزء١، ١١٤.

٧- حمدان اللواح، "*وقفات*"، ٥٢-٥٣.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

فالنبي صلي الله عليه وسلم قد جمع بين آيتين في موضوع واحد، وهو كثير كان يستخدمه النبي صلي الله عليه وسلم، فهو يفسر آية فيها إبهام وإجمال بآية أخري فيها بيان وتفصيل، بيان ذلك ما ذكره البخاري٨، بأن رسول الله ﷺ فسر مفاتح الغيب في قوله: (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ)٩فقال: مفاتيح الغيب خمس: (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عليم خَبِيرٌ)١٠، وهذا المنهج النبوي يمثل اللبنات التمهيدية الأولي للتفسير الموضوعي١١.

ب-فترة الصحابة والتابعين.

"فقد اتسعت حياة المسلمين، وجدت عليهم مسائل وقضايا كثيرة، واحتاج الناس إلى معرفة الفقه والأحكام الشرعية، فأخذ العلماء يؤصلون المسائل، ويحققون الشرائع والأحكام، وذلك عن طريق جمع الآيات المتماثلة، ومقارنتها لاستخراج الأحكام الشرعية منها، كآيات الخمر، والربا، والعدة، ونحوها"[١٢]. وأخذوا هذا المنهج عن النبي صلي الله عليه وسلم فجمعوا بين آيات يربطها رابط، كأن يكون ظاهرها التناقض فيجمعون بينها بما يجعلها مؤتلفة غير مختلفة، مثال ذلك ما روي عن سعيد بن جبير قال: قال رجل لابن عباس: إني أجد في القرآن أشياء تختلف عليّ فقد قال الله تعالى: (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ)١٣، وقال الله تعالى: (فَأَقْبَلَ

٨-البخاري، *الصحيح*، كتاب التفسير، تفسير سورة الأنعام، الجزء٥ ،١٩٣.

٩-القرآن، ٦: ٥٩.

١٠-القرآن، ٣١: ٣٤.

١١-حمدان، *وقفات*، ٥٢-٥٣.

١٢-عبد الستار فتح الله، *المدخل إلى التفسير الموضوعي*، ٣٠.

١٣-القرآن، ٢٣: ١٠١.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ)١٤ وقال الله تعالى: (وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا)١٥، وقال تعالى: (ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ)١٦فقد كتموا في هذه الآية، فأجابه ابن عباس بقوله: قوله تعالى: (فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ) في النفخة الأولي، وقوله تعالى: (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ) في النفخة الثانية١٧.

فهذه هي المرحلة الثانية التي ساهمت في تأصيل التفسير الموضوعي على منهاج النبوة مما زادت على فترة النبي صلي الله عليه وسلم، والتابعون كانوا تلامذة للصحابة عليهم رضوان الله تعالى الذين قاموا بنشر ما تعلموا في تلك الفترة من الإسلام، الذين التزموا بالمأثور القرآني في مكة، والمأثور السنة في المدينة .

ج-مراحل التدوين وتطويره.

مر علماء التفسير بمراحل أكثر تقدماً إلى مفهوم هذا اللون من التفسير حيث قاموا بجمع الآيات القرآنية، التي تندرج تحت مبحث من مباحث علوم القرآن وصنفوا فيها مؤلفات مستقلة بهذه المباحث القرآنية، فما فعله القاسم بن سلام(ت٢٢٤هـ) حيث صنف كتاباً في "الناسخ والمنسوخ "وصنف يحي بن سلام البصري(ت٢٠٠هـ)في "الأشباه والنظائر" في بداية القرن الثالث الهجري، وفي القرن الخامس ألف الماوردي(ت٤٥٠هـ)كتاباً في "أمثال القرآن" وفي القرن السابع ألف العز بن عبد السلام(ت٦٦٠هـ)كتاباً في "مجاز القرآن" وفي القرن الثامن ألف ابن القيم (ت٧٥١هـ)كتاباً في "أقسام القرآن"١٨.

وهكذا تتابع التأليف والجمع للآيات المرتبطة بسياق واحد في قضايا وموضوعات متعلقة بالقرآن الكريم، مما يمثل مرحلة أكثر تقدماً تجاه التفسير الموضوعي.

١٤-القرآن، ٣٧: ٥٠.

١٥-القرآن، ٤: ٤٢.

١٦-القرآن، ٤: ٢٣.

١٧-حمدان، *وقفات*، ٥٢-٥٣.

١٨- نفس المرجع.، ٥٣-٥٤.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

واستمر الأمر في التطور إلى أن جاء العصر الحديث، فبدأ أساتذة التفسير وعلماءه يسافرون في طريق التفسير الموضوعي ولكن مع دقة في التخصص، حتي أنهم اشتغلوا بالكلمة الواحدة، والآية الواحدة، والسورة الواحدة، فأبرز ما ظهر من دراسات في هذا المجال:

١-التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، لأحمد الكومي ومُحَمَّد أحمد يوسف القاسم،١٩٨٢م.

٢-البداية في التفسير الموضوعي "دراسة منهجية وموضوعية"، عبد الحي الفرماوي١٩٧٧م.

٣-المدخل إلى التفسير الموضوعي، عبد الستار فتح الله سعيد١٩٨٥م.

٤-الفتوحات الربانية في التفسير الموضوعي، الحسيني أبو فرحة١٩٨٥م.

٥-دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، زاهر بن عوض الألمعي١٩٨٥م.

٦-دراسات في التفسير للقصص للقرآني، أحمد جمال العمري١٩٨٦م.

٧-مباحث في التفسير الموضوعي، للدكتور مصطفي مسلم١٩٨٩م.

٨-التفسير الموضوعي والفلسفة الاجتماعية في المدرسة القرآنية، لمحمد باقر الصدر١٩٨٩م.

٩-دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، عبد المنعم القصاص١٩٩٠م.

١٠-التفسير الموضوعي للقرآن في كفتي الميزان، عبد الجليل عبد الرحيم،١٩٩١م.

١١-منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، زياد خليل الدغامين١٩٩٥م.

يضاف إلى ذلك ما جمعه الفقهاء من الآيات ذات الموضوع الواحد فيما يتعلق بأحكام القرآن، فجمعوا في كتبهم ما يتعلق بالوضوء والتيمم تحت كتاب الطهارة، واستخلصوا منها الأحكام الخاصة بها، كما جمعوا ما ورد في الصلاة وقيامها وركوها والقراءة فيها تحت كتاب الصلاة، وما يتعلق بالصدقات والأموال ومصارفها كلٌ تحت الباب الذي يناسبه من العبادات والمعاملات في كتب الفقه، مثال كتاب "أحكام القرآن" لأبي بكر الجصاص(ت٤٧٠هـ)، وكتاب "أحكام القرآن" لابن العربي المالكي(ت٥٤٣هـ)، وغيرها وكل ذلك هو لون من ألوان التفسير الموضوعي في مراحله الأولي١٩.

١٩-نفس المرجع.، ٥٤.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

وقد كثرت البحوث والدراسات القرآنية حول قضايا معاصرة فرضتها حاجة الناس في هذا العصر ك"اليهود في القرآن" لمحمد عزة دروزة، ومنها "المرآة في القرآن" لعباس محمود العقاد، وغيرها كالصبر في القرآن، والأمثال في القرآن، والحمة في القرآن، والأخلاق في القرآن، لكن نجد الدكتور صلاح الخالدي لا يعتبر مثل هذه الدراسات نماذج تمثل التفسير الموضوعي لأنها لا تسير على الخطة النموذجية للتفسير الموضوعي، ولا تلتزم بالمنهج الموضوعي للتفسير، ويعتبرها دراسات قرآنية نافعة تبحث في بعض موضوعات القرآن٢٠.

ونجد الدكتور الخالدي يضع خلاصةً يحكم من خلالها على الجهود السابقة فيقول: "وخلاصة هذا المبحث أن التفسير الموضوعي مصطلح معاصر، وأن البحث فيه والكتابة فيه من باب تلبية حاجات مسلمي هذا العصر، وأن السابقين لم يعرفوه بالصورة التي نعرفها نحن الآن وأنهم كانوا مشغولين بالتفسير التحليلي وفق ترتيب الآيات والسور في المصحف، وهذا لا يعيبهم، ولا ينقص من قدرهم، لانهم حققوا حاجات مسلمي عصرهم، ولا نطالبهم أن يرتقوا لمستوي حاجاتنا المتجددة"٢١.

٣-الأمور التي يتم حلها بالتفسير الموضوعي.

من خلال ما حاولنا توضيحه فيما مر بنا من الكلام عن التفسير الموضوعي الذي تبين أن كثيراً من الآيات تأخذ بعداً واحداً من أبعاد موضوعاً ما، فمثلاً فيما يخص مسألة "الشفاعة"، فقد ورد في بعض الآيات "أصل إمكان الشفاعة"، وفي بعض الآخر "شروط الشفاعة" (سبأ ٣٣ ومريم ٧٨) وفي بعضها شروط "المشفع لهم" (الانبياء٢٨غافر١٨) وفي بعضها تنفي الشفاعة عن الجميع ما عدا الله تعالى (الزمر٤٤) وفي بعض آخر ثبتت "الشفاعة لغير الله" (المدثر٤٨). وكذلك الآيات المتعلقة بالجهاد، أو آيات البرزخ، أو مسألة علم الله، وكذلك موضوع علم الغيب، فإذا وضعت

٢٠-صلاح الخالدي، *التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق*(الاردن: دار النقاش، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م)، ٣٧.

٢١-نفس المرجع.، ٣٩.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

آيات كل موضوع على حده فلابد أن يعطي الموضوع حقه وتحل مشكلاته الموجودة عن طريق التفسير الموضوعي.

فمستقبل التفسير الموضوعي في ظل وجود علماء أجلاء يبصرون الناس بأسرار هذا النور العميق ووضع لها حلاً لجميع العقبات التي واجهتها، فالمشاكل التي تواجه الإنسان متجددة ما دامت الحياة، ونصوص القرآن محددة، ولا يمكن أن نجد حلاً لكل مشكلة باسمها، بل يمكن استنباط الحل لكن من مقاصده وهداياته٢٢، فهو يتفق مع المقاصد الأساسية للقرآن الكريم، ويحقق هذه المقاصد في حياة المسلمين.

يقول د. مصطفي مسلم: "إن نصوص القرآن محددة، والقضايا التي تتناولها بالتوضيح والبيان والتفصيل محددة أيضاً، أما المشاكل الإنسانية وآفاق المعرفة فغير محددة، ولا يمكن أن نجابه هذه المشكلات بظواهر النصوص المحددة، بل نجد المرونة والسعة في الخطوط الأساسية التي تعرض لها آيات التنزيل، لذا لا يمكن أن نواجه مشاكل العصر ومعطيات الحضارة إلا بأسلوب الدراسات الموضوعية للقرآن الكريم أو بأسلوب التفسير الموضوعي"٢٣. فيستطيع الباحث أن يبرز جوانب جديدة من وجود إعجاز القرآن الذي لا تنقضي عجائبه، فالباحثون ينفذون أمر الله بتدبر القرآن الكريم، وإمعان النظر فيه وإحسان فقهه وفهم نصوصه.

وقال الخالدي في ذلك: "التفسير الموضوعي من العوامل الأساسية في حل مشكلات المسلمين المعاصرة، وتقديم الحلول لها على أساس القرآن، وعندما يبحث الباحثون في التفسير الموضوعي، فإنهم يقدمون لمسلمين الحلول القرآنية لمشكلاتهم العديدة"٢٤، فإزالة المسائل التي تظهر في بعض الآيات في المرة الأولي، وحل المتشابه في القرآن الكريم، والاطلاع على الظروف والأمور

٢٢-محمد عبدالسلام الحضيري، "مقاصد القرآن الكلية وأهميتها في التفسير الموضوعي للموضوع القرآني" ، بحث مقدم لمؤتمر التفسير الموضوعي للقرآن الكريم واقع وآفاق، (الشارقة: كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، (يومي الأحد والاثنين١١-١٢جمادي الأولي ١٤٣١هـ الموافق ٢٥-٢٦\٤\٢٠١٠م).

٢٣-مصطفي مسلم، *مباحث في التفسير الموضوعي*(دمشق: دار القلم، ط٢، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م)،٣٠-٣٩.

٢٤-الخالدي، *التفسير الموضوعي*، ٤٩.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

المطروحة في القرآن، كما يمكن الحصول على أسرار ونتائج جديدة من القرآن الكريم من خلال ربط الآيات ببعضها.

الفصل الثاني : النظرة السياسية للنفاق.

يُوصف الإنسان المعاصر بأنه إنسان سياسي٢٥، ورأى العلامة ابن خلدون(ت٨٠٨هـ) المُلْك والسياسة ظاهرة إنسانية٢٦، وأنها ضرورة لا انفكاك عنها٢٧، ورجّح خيرها على شرها٢٨.

والسياسة تعني: "قابلية كل إنسان لأن يكون رئيساً ومرؤوساً، ولأن يكون حاكماً ومحكوماً، ولأن يكون قائداً ومنقاداً، بحيث لا يميز في هذا المجال بين إنسان وآخر بقدرته المادية، أي بنسبه، أو ثروته، أو سلاحه، أو طبقته، أو طائفته، بل بطاقته الروحية، أي بأهليته لأن يكون أكفأ من سواه لتحمل المسؤولية الرئاسية"٢٩.

والذي يظهر لنا أن:

الفكر السياسي كتراث جاء إما بصيغة فقهية للتجارب التاريخية المبكرة ككتاب "الأحكام السلطانية" للإمام الماوردي(ت٤٥٠هـ)، أو بصيغة الوعظ والإرشاد الموجه للملوك والسلاطين ككتاب "التبر المسبوك في نصيحة الملوك" للإمام الغزالي(ت٥٠٥هـ)، إلا أن التطور السياسي في عالمنا المعاصر، وما يعكسه من سلب وإيجاب على حضارتنا ووجودنا؛ بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى؛ جعل من الضروري أن نواجه حقيقة الفكر السياسي الإسلامي، ونغوص في خبايا أهدافه واتجاهاته، وعدم الاكتفاء بالشعارات العامة التي لا تغير من الواقع المرير شيئاً٣٠.

٢٥-مُحَمَّد علي مُحَمَّد وعلي عبد المعطي مُحَمَّد، *السياسة بين النظرية والتطبيق*(بيروت: دار النهضة العربية، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م)، ٣.

٢٦-ابن خلدون، *المقدمة*(صيدا-بيروت: المطبعة العصرية، ط٢، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م)، تحقيق: درويش الجويدي، ١٣٨.

٢٧-المرجع نفسه.، ٢٧٧-٢٧٨.

٢٨-المرجع نفسه.، ١٣٣.

٢٩-حسن صعب، *علم السياسة*(بيروت: دار العلم للملايين، ط٨، ١٩٨٥م)، ١٨.

٣٠-علي مُحَمَّد الآغا، *الشورى والديمقراطية*(بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٢م)، ٧.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

والسياسة الشرعية هي: "تدبير الشئون العامة للدولة الإسلامية، بما يكفل تحقيق المصالح ودفع المضار، مما لا يتعدى حدود الشريعة وأصولها الكلية ، وإن لم يتفق وأقوال الأئمة المجتهدين"٣١ .

والمصلحة لها غاية فقه التطبيق، توفيقاً بين غاية النص ومآله، بما يحفظ كيانَ الأمة الروحي والاقتصادي، والاجتماعي، والسياسي، فهي كما قيل "المصالح أساس المشروعية في التدبير السياسي ابتداء وبقاء"٣٢. وشهادة الشرع للتدابير تتحقق باعتبار الشارع للمصلحة التي قصد التدبير رعايتها، وأنواع الاعتبار مبحوثة في أصول الفقه.

ومما لا شك فيه أن معظم النظم والتشريعات التي تقوم عليها سياسة الدولة فيما خلا ما وردت فيه النصوص الخاصة أو انعقد عليه الإجماع أو شهدت بأحكامها الأقيسة الصحيحة، أساسها المصلحة وسد الذرائع وفتحها، ومبدأ الاستحسان والعرف وغيرها، وجملة التصرفات التي أوكلها الشارع إلى أولي الأمر من الساسة والحكام والعلماء كي يحددونها علي وفق المصالح الشرعية، مما يراه أهل السياسة الحكماء بمصالح الدولة والخبراء بقواعد الشريعة ومقاصدها المقررة، مما تتعين ضرورته حسب ضوابط الدين وشروط الاجتهاد وقواعد الاستصلاح المقرر٣٣.فالمقصد العام للشرع من تشريع الأحكام هو تحقيق مصالح الناس في هذه الحياة، بجلب النفع لهم، ودفع الضرر عنهم، وذلك بكفالة ضرورياتهم وتوفير حاجياتهم وتحسيناتهم، فإذا توفرت هذه الأمور الثلاثة، تحققت مصالحهم، دل علي هذا استقرار الأحكام الشرعية، وتتبع العلل والحكم التشريعية التي قرنها الشارع بكثير من الأحكام٣٤. وفيما يلي نقدم ما يتعلق بالضوابط حتي نبين مدي بروز أمر مقصد الشارع وحكمه في تحقيق مصالح العباد.

٣١-خلاف ، عبد الوهاب، *السياسة الشرعية في الشئون الدستورية والخارجية والمالي*(الكويت: دار القلم، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، ٢٠.

٣٢-فتحي الدريني، *خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم*(دمشق: دار قتيبة، ط١، ١٩٨٨م)، ١٩٧.

٣٣-نور الدين الخادمي، *علم المقاصد الشرعية*(الرياض، المملكة العربية السعودية: مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢١هـ)، ٩٨-١٠٦.

٣٤-مناع القطان، *معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية*(القاهرة: مكتبة وهبة، مجهول السنة)، ٨١-٨٢.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

أولاً: ضوابط المصلحة.

١-أن تكون المصلحة كلية ضرورية قطعية: ومعني كونها كلية أن تعم جميع المسلمين لا بعض الناس دون بعض، ومعني كونها ضرورية ألا تكون حاجية ولا تحسينية بل من الضرورات الخمس، ومعني كونها قطعية أن يتحقق بها حلب النفع أو دفع الضرر علي سبيل القطع لا علي سبيل الظن والوهم.

٢-ألا تعارض حكماً بني علي نص أو إجماع، والمراد بالنص ما كانت دلالته قطعية ولا تحتمل التأويل من كتاب الله تعالى أو السنة الصحيحة، فالحكم الذي دل عليه النص لا تعارضه مصلحة حقيقية، فإن سموه مصلحة فهو مصلحة وهمية لا تستند إلى دليل٣٥.

٣-ألا تكون معارضه للقياس لأن القياس وإن كان فيه مراعاة لمطلق المصلحة في الفرع المقيس، فإنه أقوي منها من ناحيتين، الاولي: وجود العلة المعتبرة شرعاً في القياس، والثانية: أن المصلحة تستند إلى دليل عام هو مراعاة مقاصد الشريعة في حفظ الكليات الخمس، أما القياس فإنه يستند إلى دليل خاص، هو دليل الأصل المقيس عليه، والدليل الخاص أقوي من الدليل العام٣٦.

٤-ألا يؤدي العمل بالمصلحة إلى تفويت مصلحة أهم منها، وذلك عند من لا يشترط في المصلحة أن تكون ضرورية٣٧.

٥-أن تكون ملائمة لمقاصد الشريعة: والمقصود بذلك موافقة المصلحة المحتجّ بها لمقاصد الشريعة واندراجها في مثل أحد فروعها المعتبرة شرعاً، وهذا ضابط يحقق كون الوصف المنظورة مصلحة، بمعنى تحقيقه نفعاً مقصوداً شرعاً، أو دفعه ضرراً مقصود دفعه شرعاً، ويُلغى الوهم الذي يظنّ عند

٣٥-المرجع نفسه.، ٨٨-٨٩.

٣٦-المرجع نفسه.، ٩٠.

٣٧-المرجع نفسه.، ٩٠.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

البعض مصلحة، وهو في حقيقته مناقض لشيء من أصول الشريعة أو أدلّتها. قال الشاطبي: "الملائمة لمقاصد الشرع بحيث لا تنافي أصلاً من أصوله ولا دليلاً من دلائله"٣٨.

ويؤكّد الغزالي بقوله: "فكل مصلحة لا ترجع إلى حفظ مقصودٍ فُهِم من الكتاب والسنة والإجماع وكانت من المصالح الغريبة التي لا تلائم تصرّفات الشرع فهي باطلة مطروحة، ومن صار إليها فقد شرّع"٣٩. وغير ذلك من المصالح وشروطها القطعية التي لا بد أن يرجع فائدة تحقيقها على عامة البشر، ومن كانت مصلحته شخصية فردية فهي لحظوظ النفس لا تبني عليها أحكام تشريعية.

ثانياً: علاقة المصلحة بالسياسة الشرعية.

العلاقة بينهما وثيقة لأن جلب المصالح ودرء الفاسد من أهم مقاصد السياسة الشريعة. والمصلحة سلاح ذو حدين يدعيها من يريد الحق ومن يريد الباطل على حد سواء، ولذلك فإن المصلحة المقصودة في هذا البحث هي المصلحة المنضبطة بضوابط الشرع، ومبنية على أساس جلب المصالح ودرء المفاسد، المصلحة أيضاً المحافظة على مقصود الشارع وهو الحفاظ على الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال .

ومن مراعاة المصلحة في السياسة الشرعية أن تكون مما يفضي تفويضه لجميع الناس إلى الفتن والشحناء، والقتل والقتال، وفساد النفس والمال؛ كإقامة الحدود، فمع أنَّها منضبطة في أنفسها، لا تفتقر إلى تحرير مقاديرها، غير أنَّها لو فُوِّضت لجميع الناس، فبادر العامة لجلد الزناة، وقطع العُداة بالسرقة وغيرها، اشتدَّت الحَمِيَّات، وثارت الأَنَفَات، وغَضِبَ ذوو المروءات، فانتشرت الفِتَنُ، وعَظُمت الإحَنُ؛ فحسم الشرعُ هذه المادَّة وفَوَّض هذه الأُمورَ لولاةِ الأمور، فأذعن

٣٨-إبراهيم بن موسى بن مُحَمَّد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، *الاعتصام*(السعودية: دار ابن عفان، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م)، تحقيق سليم بن عيد الهلالي، الجزء٢، ١٢٩.

٣٩-أبو حامد مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغزالي الطوسي، *المستصفى*(مجهول الناشر: دار الكتب العلمية، ط١،١٤١٣هـ-١٩٩٣م)، تحقيق مُحَمَّد عبد السلام عبد الشافي، الجزء١، ٥٠٢-٥٠٣.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

الناس لهم، وأجابوا طوعاً وكرهاً، واندفعت تلك المفاسدُ العظيمة، وجباية الجزية، وأخذ الخراج من أرض العنوة وغيرها.٤٠.

ثالثاً: أقسام السياسة.

هناك من بَيَّنَ أن السياسةَ تَنْقسِمُ بحسب مجالها إلى ثلاثةِ أنواع: ٤١

النوع الأول: سياسة نفسية: ومجالها باطن الإنسان "أي قلبه" وعملها إصلاح الباطن وتهذيبُ النفوس، ودرءُ المفاسد والغوائل عن القلوب، وهذه يقوم بها العلماء الربانيون الذين يُعنَوْن بإصلاح القلوب وتربية النفوس وتهذيبها.

النوع الثاني: سياسة مدنية: ومجالها ظاهرُ الناس فقط وما يتعلق بحياتهم، وعملها إصلاح ظواهرهم بتدبير أمور معاشهم، وإصلاح معاملاتهم، وإقامة شؤون اجتماعهم وعمرانهم، وهذه يقوم بها الولاة والأمراء والسلاطين والملوك والرؤساء؛ فإذا كانت هذه السياسة "مفروضة من العقلاء، وأكابر الدولة وبصرائها، كانت سياسة عقلية، وإن كانت مفروضة من الله بشارع يقررها ويشرعها كانت سياسة دينية.

النوع الثالث: سياسة مطلقة أو كاملة: ومجالها باطن الإنسان وظاهره، وهي تشمل النوعين السابقين، وهذه التي يقوم بها الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، ثم من يخلفهم ويمشي في ذلك على طريقتهم، وهم الخلفاءُ الراشدون في كل عصرٍ ومصر، ومن الجديرِ بالذكرِ أن جميعَ أنواع السياسة المقيدة بالشرع تدخل تحت مسمى السياسة الشرعية، وإن كانت السياسات الثابتة بالنص القرآني تسمى سياسة إلهية، والثابتة بالسنة تسمى سياسة نبوية، وذلك تمييزاً لها وبياناً لمصدرها المباشر، ومن البين أن السياسة التي يكون مصدرها المباشر هو الاجتهاد المبني على الكتاب والسنة هي أيضاً من

٤٠-أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي، *الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام* (بيروت: دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م)، ١٥٣.

٤١-مُحَمَّد بن شاكر الشريف، *قواعد في فقه السياسة الشرعية*، في http://www.saaid.net(١٥اغسطس٢٠١٥م).

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

السياسة الشرعية، ونستطيع هنا أن نميز مصادر السياسة الشرعية أو الأدلة العامة لها وهي: الكتاب، السنة، وسياسة الخلفاء الراشدين، وأخيراً الاجتهاد الصحيح المبني على ما تقدم.

رابعاً: خصائص السياسية في الإسلام٤٢.

السياسة الإسلامية ركن من أركان الواقع الإسلامي لما له من أهمية على المجتمع والفرد، فكان لابد أن يكون له خصائص ثابته تجعله مستقلاً عن غيره من السياسات المتعددة ومن أهم خصائصه ما يلي:

١-الربانية: الربانية أولى الخصائص، وتتمثل الربانية في ربانية المصدر، وربانية الوجهة.

(أ) ربانية المصدر ولهذه الميزة ثمار عديدة منها:

١-العصمة من التناقض. ٢-البراءةُ من التحيز، والميلُ لمصلحة طائفة من البشر، أو بلدٍ دون آخر. ٣-الاحترامُ وسهولة الانقياد.

٤-التحررُ من عبودية الإنسان للإنسان، والعبودية هي الذل والخضوع والانقياد، وقد انحرفت سياسة النفاق بتذليل الأتباع للمتبوعين، وانحرفت في جانب آخر من جوانب العبودية هو أن السادة قد يُحَرِّمون على أتباعهم ما يشاؤون ويحللون لهم ما يشاؤون، أما في الإسلام فالمشرع هو الله، فلا عبودية إلا له سبحانه.

(ب) ربانية الوجهة: وهو أن يبتغي الإنسان بعمله الله سبحانه وتعالى، فالإنسان المسلم هو الذي تكون أعماله كلها لله سبحانه وتعالى كما في قوله سبحانه: (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)٤٣.هكذا يعلن الإنسان المؤمن توجهه لله سبحانه وتعالى في جميع أموره، ومن جملتها منهجهُ السياسي الذي يسير عليه، فهو أمرٌ

٤٢-مجموعة من أعضاء هيئة التدريس بقسم الدراسات الإسلامية جامعة لملك سعود، *النظام السياسي في الإسلام* (السعودية: مدار الوطن، ط٨، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م)، كتب هذا القسم سعود بن سلمان آل سعود، ٤٥.

٤٣-القرآن، ٦: ١٦٢، ١٦٣.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

يُتَعبدُ الله به، فالسياسي المسلم الذي يسير على شرع الله مخلصاً في ذلك نيته مأجور عند الله سبحانه وتعالى على عمله.

٢-الشمول: مما يترتب على ربانية السياسي في الإسلام أنه شامل؛ لأن مصدره الله تعالى القائل (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ)٤٤، فالسياسيةُ في الإسلام لم تأتِ قاصرًا على ما يُهم الحاكم، أو على ما يُهم المحكوم؛ بل جاء شاملاً لكل ما يحتاجهُ النظام من بيان لواجبات الأميرِ وحقوقه، وواجبات المأمور وحقوقه، وجاء أيضًا بما ينظم علاقة الدولةُ الإسلامية بغيرها من الأممِ والشعوب من المسلمين وغير المسلمين، يدل على هذا الشمول قوله سبحانه: (وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ)٤٥.

٣-العالمية: السياسيةُ في الإسلامِ لها صفةُ العالمية؛ لأنها منزلٌ لجميع الناس على حد سواء وصالح لهم جميعًا بحسب طبيعتهم الإنسانية بغض النظر عن الجنس أو اللون أو اللغة وبصرف النظر عن المكان والزمان، فالدينُ الإسلامي وما جاء به من النظمِ له خاصية العالمية، في الزمان والمكان، فعالمية الزمان تعني أنها صالحة إلى قيام الساعة، وعالمية المكان تعني أنها صالحة على أي جزء من أجزاء المعمورة، فهي صالحةٌ للناس جميعهم على اختلاف أجناسهم ولغاتهم، ولقد جاءت الآيات والأحاديث ببيان هذه الصفة، ومن ذلك: قوله سبحانه: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إليكم جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)٤٦، ولأن الإسلام هو آخر الأديان، ولا دين بعده، فلا بد أن يكون صالحاً لكل زمان ومكان إلى قيام الساعة، كما أن بقاء المصدر الأصلي لهذا الدين سليماً لم يُحرّف دليل قاطع أيضاً على عالمية هذا الدين وأنظمته باختلاف أنواعها.

٤٤-القرآن، ٦: ٣٨.

٤٥-القرآن، ١٦: ٨٩.

٤٦-القرآن، ٦: ١٥٨.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

٤-الوسطية: جاء الإسلام وسطاً في عقيدته، وسطاً في شريعته بين الغلو والتقصير، وكذلك وسطاً في أنظمته ومن جملتها النظام السياسي في الإسلام، فلا هو نظام ديكتاتوري مُفْرِط، ولا نظام ديمقراطي مُفَرِّط، وهو بهذا خير نظام عرفته البشرية، لقد وصف الله سبحانه وتعالى هذه الأمة بالوسطية كما في قوله سبحانه وتعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)٤٧.

٥-الواقعية: الواقعيةُ ممكن التحقيق في الحياة الإنسانية، ولأنه ليس بعيدًا عن الحقائقِ وأمورِ الحياة، فهو ليس نظاماً مغرقًا في الخيال، ولا يغفلُ عن الطبيعةِ البشرية، ولا يشتمل على القضايا المنطقية المجردة أو التصورات العقلية المجردة، ولا قوانين مثالية لا مقابل لها في عالم الواقع، وإنما هو نظامُ يشرع للناس كما هم في عالم الواقع، جاء هذا الدين مطابقاً للواقع، وموافقًا للفطرةِ الإنسانية، ويعني ذلك في المجال السياسي أن الإتيانُ بالأنظمة والتشريعات السياسية الممكنة التطبيق في واقع البشر، والنظرُ إلى الحاكمِ على أنه بشر له حقوقه وعليه واجباته، وعدم التجاوز في حقوقه إلى ما ليس له، والنظرُ إلى المحكوم على أنه بشر له حقوق وعليه واجبات وعدم بخسه من الحقوق ما هو له.

الفصل الثالث: النظرة النفسية للنفاق.

تعد العلوم الاجتماعية والسلوكية من أكثر العلوم خطراً وأثراً علي الناس، فحاجتنا إلى علوم اجتماعية وسلوكية من واقعنا الذي نعيشه الآن، وهناك كتب كثيرة تحدثت في هذا الصدد من قضايا علم النفس المعاصر من المنظور الإسلامي الصحيح، وأوضحت رأي الإسلام في العديد من الموضوعات التي تعالجها العلوم السلوكية الحديثة، ومن هذه القضايا قضية النفاق التي كان لها أثارها السلوكية والأخلاقية علي الفرد والمجتمع.

٤٧-القرآن، ٢: ١٤٣.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

إن دراسة الإنسان من حيث علاقته بالمجتمع، وتأثره وتأثيره فيه، كانت متأخرة نسبياً عن دراسة الظواهر النفسية لهذا الإنسان وما وراء هذه الظواهر من عمليات عقلية مما عرف بعلم النفس النظري.

ولقد سار علماء النفس شوطاً بعيداً في دراسة الإنسان دراسة اجتماعية لأهميتها ولاتصال علم النفس الاجتماعي بعلم الاجتماع أولاً، من حيث تدخل موضوعاتهما، وتداخله مع علم السياسة وارتباطه بالفلسفة وعلم الانسان، ولكن بينما نجد المتخصص في هذه العلوم يهتم بالنتائج النهائية للتفاعل الاجتماعي أو بالتعميمات الخاصة بالتفاعل الاجتماعي والمواقف الاجتماعية، بصرف النظر عن السلوك الفردي للأشخاص، فإن المتخصص في علم النفس الاجتماعي يركز اهتمامه في مبادئ السلوك الإنساني.٤٨

تعتبر فنية استخدام النماذج السلوكية لإكساب سلوكيات مطلوبة أو لإبطال وإنقاص سلوكيات غير مرغوبة، أو ضارة من الأساليب الفنية العامة التي تستخدمها الهيئات العامة التي تهتم بصحة المواطنين وسلامتهم، والإسلام الدين الخاتم الذي جعله الخالق جل وعلا هدىً ونوراً للبشرية جمعاء، يهتم بجانب إرسائه لعقيدة التوحيد بتقويم سلوك البشر وهدايتهم إلى السلوك الصحيح: (صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ)٤٩.

وقد استخدم الإسلام في تصويره للسلوك مجموعة من الأساليب التي تعرض نماذج للسلوك وتعرض نتيجة هذا السلوك، فنجد أسلوب القصص القرآني، وكذلك القصص النبوي، والأمثال القرآنية والأمثال النبوية، وأسلوب عرض المشاهد المواقف، وكذلك عرض نماذج قياسية للسلوك المرغوب سلوك المؤمنين، ونماذج قياسية للسلوك المرذول سلوك الكفر والنفاق، كذلك نجد في السنة النبوية بأقسامها القولية والفعلية والتقريرية نماذج توجه المسلم في سلوكه على مدار اليوم وعلى مدار الزمن وفي كل مكان وموقف يقف فيه، ثم نجد في سيرة السلف الصالح الكثير من النماذج التي تعلم

٤٨-حامد زهران، علم *النفس الاجتماعي*(مجهول، عالم الكتاب، ط٤، ١٩٧٧م)، ١٩.

٤٩-القرآن، ٤٢: ٥٣.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

مكارم الأخلاق من صدق وإخلاص وأمانة وتعفف ووفاء بالعهد وإيثار وتعاون وإحسان ومجاهدة وبرّ بالوالدين وغيرها كثير.

ومن عناصر القاعدة الإيمانية في الإسلام كما قال حبنكة:

فهي تدفع المؤمنين بها أن يتحلوا بالفضائل الخلقية، وأن يتخلّوا عن الرذائل الخلقية، وأن يلتزموا في حياتهم كل سلوك خلقي تدعو إليه مكارم الأخلاق، وتعد علي ذلك بالظفر برضوان الله واغتنام الأجر العظيم عنده، وتحذر من مغبة ممارسة الرذائل الخلقية المحظورة، وممارسة ظواهرها في السلوك، وتنذر بسخط الله وبالعقاب الأليم عنده، وهكذا فالإيمان بالإسلام سلوك إرادي توجبه فضائل الأخلاق التي تدركها الأفكار العلمية وتستحسنها، كما تستقبح أضدادها، وتميل الفطر الوجدانية السليمة إلى ممارستها، وتنفر وتشمئز من أضدادها.٥٠

لكن لابد لنا أن نعلم أن دلالة السلوك الأخلاقي علي الخلق الأصيل الثابت في قرارة النفس دلالة ظنية، وليست دلالة قطعية، فقد لا يكون السلوك الأخلاقي صادراً عن تكلُّف وتصنّع، أو عن خوف وطمع، وعندئذ فقد يكون من قبيل الرياء، وقد يكون من قبيل النفاق، وقد يكون صاحبه مخلصاً يريد تطويع نفسه وترويضها، حتي تكسب الخلق الكريم، ولو لم يكن ذلك من أصل طبعها. وفيما يلي يقدم الباحث ما يتعلق بالسلوك النفسي.

أولاً: دراسة السلوك النفسي.

أ-أنماط السلوك النفسي.

جذب الموضوع انتباه العامة والخاصة، بسبب التقدم والازدهار في أفاقه وميادينه ونظرياته، وأضحت تفاسيره، ونتائجه تستخدم في ميادين العلاج النفسي، والطب المرضي والسلوك الفردي والجماعي، كما أن تطبيقاته المتعددة للدراسات النفسية أصبحت موضع اهتمام العديد من الدارسين للعلوم الإنسانية والنفسية والاجتماعية.

٥٠-عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، *الأخلاق* الإسلامية *وأسسها* (دمشق: دار القلم، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م)، الجزء١،٢٣.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

يعد موضوع السلوكي من أعقد الموضوعات التي اهتم بها علماء النفس، حيث كانت اهتماماتهم توجه إلى دراسة الحالات الفردية التي لا تؤدي في النهاية إلى تكوين النظريات العامة، أما الاتجاهات الحديثة في الدراسات السيكولوجية فاهتمت بدراسة الشخصية اهتماماً بالغًا لدرجة أنها أصبحت مادة مستقلة بين مناهج الدراسات النفسية، حيث تشمل هذه الدراسات الجوانب المختلفة للشخصية وكيفية نموها، والعوامل المؤثرة فيها، وكيفية قياسها، والنظريات المختلفة التي وضعت في دراستها وتفسيرها٥١.

فعلم النفس اهتم بجميع ما يتعلق بالكائن البشري عقلياً ونفسياً وحب وكره وميل ورغبه واختلاف في التفكير، وحتي اختلاف في معالجة المشكلة من فرد لآخر.

ونستطيع أن نوجز أهم مباحث علم النفس التي تصف وتصدر عن الإنسان من سلوك كما ذكرها السمالوطي في كتابه الإسلام وقضايا علم النفس الحديث، يقول:

١-السلوك الظاهر: كالأكل والشرب والمشي وإلقاء محاضرة وقيادة سيارة.

٢-السلوك الباطن: كالتفكير والتخيل والتذكر، فهو سلوك لا يمكن أن ألاحظه مباشرة، ويمكن لهذا السلوك الباطن أن يكون عقلياً أو وجدانياً.

٣-السلوك الفطري: الذي يولد الانسان مزوداً به كتناول الطعام والشراب والأمومة والقتال.

٤-السلوك المكتسب: الذي يتعلمه الإنسان من واقعه الاجتماعي الذي يعايشه ويعيش فيه.

٥-السلوك السوي: الذي يتفق مع الشريعة الاسلامية داخل المجتمعات الاسلامية، والذي يتفق مع عادات المجتمع وتقاليده في المجتمعات المختلف٥٢.

ويمكن القول أن علم النفس شأنه شأن كل العلوم الطبيعية والاجتماعية يحاول أن يدرأ الظواهر السلوكية، ويحاول تفسيرها في ضوء مبادئ وقوانين تفسر لنا ظواهر التفكير والتذكير والتخليل،

٥١-توما جورج خوري، *الشخصية: مقوماتها سلوكها علاقتها بالتعليم*(لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٦م)، ٥.

٥٢-نبيل محمّد توفيق السمالوطي، *الإسلام وقضايا علم النفس الحديث*(السعودية: دار الشروق، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م)، ١٤-١٥.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

ويحاول أن يصف لنا مختلف ضروب السلوك الانساني، والسلوك اللفظي والمكتسب، والسلوك الذكي والغبي، والسلوك السوي والمنحرف، والاسلامي والمنافي للإسلام.

وهناك صلة واضحة بين هذين العلمين علم النفس والعلوم الاجتماعية، لأن الانسان يعيش داخل مجتمعات وجماعات ويتأثر بشكل واضح بالبيئة حيث يكتسب منها لغته وعاداته وتقاليده، وتمارس الثقافة أثر عميق علي شخصية الانسان وتفكيره وسلوكه.

ويشير الكثير من علماء النفس إلى أن دراسة السلوك هي من الموضوعات الشيقة في علم النفس لأن النظرة الكلية للكائن الإنساني الحي أكثر تشويقاً، والواقع أن علماء النفس عند اتجاههم لدراسة السلوك يكرسون جهودهم حول الوسط الاجتماعي، أي المثيرات الاجتماعية ذات الأثر على الأفراد، وهو إما أن تكون سوية أو مضطربة مختلفة، لذلك فإن استقامتها أو اضطرابها، يتوقف على عوامل كثيرة منها صحة الجسم وصحة النفس٥٣.

ويتبين من ذلك أن مهمة علم النفس أن يدرس السلوك الاجتماعي للفرد والجماعة بدراسة الحالات العديدة بهدف الوصول إلى الفوارق التي تفسر الأنماط السلوكية المختلفة، وكاستجابة لمثيرات اجتماعية وبالاعتماد على هذه التفسيرات يبني العلم عليها وعلى دراستها، لهدف بناء مجتمع أفضل قائم علي فهم سلوك الفرد والجماعة.

ب-الدوافع الاجتماعية للسلوك:

يعد موضوع الدوافع أو القوى الدافعة للسلوك الاجتماعي بصفة عامة من الموضوعات المهمة في علم النفس، لأن دوافع السلوك بطبيعة الحال تفسره٥٤.

لذلك فإن دراستنا للدوافع الاجتماعية تساعدنا على أمور أهمهما:

١-فهم السلوك الاجتماعي للفرد وللجماعة.

٢-توجيه السلوك البشري الوجهة التي نريدها.

٥٣-عبدالرحمن العيسوي، *نظريات الشخصية*(الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م)، ٤٦.

٥٤-زهران، *علم النفس الاجتماعية*، ١٠٩.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

٣-وضع معايير اجتماعية للسلوك تتضمن التعاليم الدينية والقيم الأخلاقية والحرص علي بنائها من خلال عملية التربية.

٤-تحصين الأفراد والجماعات ضد الظواهر النفسية للنفاق وتعريفهم بأساليبها.٥٥

والسلوك له عوامل مؤثرة وغير مؤثرة، وما هذا التأثير المباشر والغير المباشر إلا بيان لدوافع السلوك، التي تشمل جميع الغرائز العامة والخاصة، أما العوامل المباشرة فتشمل المؤثرات الاجتماعية المؤثرة في السلوك.

ج-العوامل المؤثرة في السلوك.

في البيئة مؤثرات كثيرة تؤثر في الانسان، وتدفعه إلى تحقيق هدفه، وقد يستجيب الفرد لهذه المؤثرات أو لا يستجيب، تبعاً لقوة المؤثر، ووعي الفرد ونضجه.

ومن العوامل المؤثرة في سلوك الفرد.

١-أساس التربية: التربية هي تبليغ الشيء إلى كماله، أو هي كما يقول المحدثون: تنمية الوظائف النفسية بالتمرين حتي تبلغ كمالها شئيا فشيئاً. تقول: ربيت الولد، إذا قويت ملكاته، ونميت قدراته، وهذبت سلوكه، حتي يصبح صالحاً للحياة في بيئة معينة. وتعد التربية ظاهرة اجتماعية تخضع لما تخضع له الظواهر الأخرى في نوها وتطورها٥٦.

والوسط المحيطي الذي يعيشه الفرد يقوم بهذه المهمة، ويهيئ الانسان للحياة بهذه التربية، والوسط الصغير المحيط به هو الأسرة، لذا كان الأبوين لهم الدور البارز في هذه تنمية السلوك، والتربية لابد لها من أساس فكري يقررها، وعقيدة توجهها وباختلاف المجتمعات البشرية تختلف عمليات التربية، وهذا مشاهد في سائر العصور ولدى الشعوب والأمم كافة.

ولضرورة مهمة التربية في التأثير علي سلوك، لجأ الغرب الصليبي في أوائل هذا القرن إلى التربية لتغيير السلوك لدي الفرد، حتي يبتعد المسلمين عن منهجهم في التربية ليسهل القضاء عليهم

٥٥-المرجع نفسه.، ١٠٩.

٥٦-عبد الرحمن الباني، *مدخل إلى التربية في ضوء الإسلام*(دمشق: المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ)، ١٥.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

والسيطرة بعد ذلك. يقول مُحَّد أسد في كتابه القيم: "الإسلام على مفترق الطرق": "إن التنشئة الغربية لأحداث المسلمين ستفضي حتماً إلى زعزعة إرادتهم في أن يعتقدوا أو أن ينظروا إلى أنفسهم على أنهم هم ممثلو الحضارة الإلهية الخاصة التي جاء بها الإسلام"٥٧.

٢-الدين: فالدين له التأثير الكبير علي سلوك الفرد في الحياة، فالأبوين هما منشئ هذا الأمر وهو كما جاء في حديث النبي ﷺ فيتبين تأثيرهما في سلوك الفرد وما يقال عن تأثير الديانات الأخرى يقال على غيرها من مجوسية أو يهودية أو نصرانية، يقال عن تأثير العقائد الحديثة فكل عقيدة لها الأثر الكبير على سلوك الأفراد، وأخلاقهم في الحياة الاجتماعية، وكذلك العقيدة الإسلامية وتأثيرها في سلوك الإنسان الجاهلي عندما آمن بها مما لا يخفي على أي إنسان أنها قلبت حياته كلها، وأصبح إنساناً متميزاً بسلوكه وأخلاقه وعاداته.

فدور العقيدة الإسلامية وبناؤها في نفوس الأفراد دور هام وعظيم في تكوين النموذج المسلم المثالي؛ لأن العقيدة هي المحرك الأساسي لسلوك الأفراد، وهي القاعدة الصلبة التي يقوم عليها بناء النفس البشرية والمجتمع الإنساني الفاضل، من أجل هذا رأينا رسول الله ﷺ يجاهد ما وسعه الجهاد في بناء العقيدة السليمة في بداية الدعوة الإسلامية قرابة ثلاثة عشر عاماً قبل هجرته إلى المدينة تتنزل خلالها الآيات الداعية إلى توحيد الله عز وجل ونبذ عبادة ما سواه، واستمر بناء العقيدة في نفوس المؤمنين مع بناء الدولة الإسلامية في المدينة الفاضلة التي أسسها النبي ﷺ وصحابته الأبرار إلى أن أتاه اليقين من رب العالمين. "لقد شاءت حكمة الله أن تكون قضية العقيدة هي القضية التي تتصدى لها الدعوة منذ اليوم الأول للرسالة، وأن يبدأ رسول الله أولى خطواته في الدعوة بدعوة الناس أن يشهدوا: (أن لا إله إلا الله)، وأن يمضي في دعوته يعرف الناس بربهم الحق، ويعبدهم له دون سواه "٥٨.

٥٧-مُحَّد أسد، *الإسلام على مفترق الطرق*، ترجمة، عمر فروخ(بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٧م)، ٦٧.

٥٨-سيد قطب، *معالم في الطريق*(بيروت: دار الشروق، مجهول)، ٢٢.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

٣-الرأي العام: وهو ميل الإنسان نحو قضية ما، لو كان هؤلاء الناس من فئة اجتماعية واحدة٥٩. وقد وصل علماء الإعلام إلى أن هذا الرأي يخضع لعوامل مهمة: منها النشأة والبيئة، نوع الطبقة الاجتماعية التي ينتمي لها الفرد، أهمية تأثير الدين، نوع الثقافة، وتأثير وسائل الاتصال، وغيرها من العوامل٦٠.

الرأي العام يحدد المنطلق العام للفرد والجماعة وسلوكهما في المجتمع، وينتج عنه توحيد في السلوك الاجتماعي، فهو منطلق من أساس واحد وهو العقيدة، ويؤثر الرأي العام في تدعيم السلوك الجماعي السوي ومقاومة السلوك الجماعي المنحرف، فإذا وجد ضابطاً ثابتاً يوجه الرأي العام ويخضع له الجميع...إنه سلطان الشريعة وبمقدار ما يبعد الإنسان عن هدي الله وشريعته يخضع للأهواء والبدع الاجتماعية الصادرة عن الرأي العام الجاهلي.

٤-وسائل الإعلام: هو عملية نشر وتقديم معلومات صحيحة وحقائق واضحة وأخبار صادقة، وموضوعات دقيقة، ووقائع محدودة، وأفكار منطقية وآراء راجحة للجماهير مع ذكر مصادرها خدمة لصالح العام، والاعلام يخاطب عقول الجماهير وعواطفهم السامية، ويقوم علي المناقشة والحوار والإقناع، وعلي هذا لابد أن تتسم العملية الإعلامية بالأمانة والموضوعية.

ويهدف الإعلام إلى النمو واليقظة والتوافق الثقافي والحضاري والارتقاء مستوي الرأي العام بتنويره وتثقيفه٦١، فالفرد المتلقي لوسائل الإعلام، ليس عباره عن مكان يفرغ فيه الأمور السلبية من ظواهر سلبيه سلوكيه وأفكار مختلفة، ولكنه إنسان مستقل له إيجابية خاصة من خلالها يميز ويفهم ويفسر ويقارن ويزن المعلومات التي تصله بميزان العقائد التي يؤمن بها، ومن ثم يحكم عليها فقد يقبلها أو يهملها، كما يؤدي دوراً مهماً في مدي تأثيره علي السلوك الفردي والجماعي وفي تقبل الرسالة الإعلامية ومدى ثقة الناس في مصدرها، من ناحية الصدق والكذب، ومدي استقلالية الإعلام وتفاديه للانحياز وتفاعله للحدث بشكل موضوعي.

٥٩-عبد القادر حاتم، *الرأي العام وتأثره بالدعاية والإعلام*(بيروت-لبنان: مجهول الدار، ١٩٧٣م)، الجزء٢، ١٢٣.

٦٠-المرجع نفسه.، ١٢٨.

٦١-زهران، *علم النفس الاجتماعية*، ٢٩٧.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

د-الاتجاه الفلسفي السيكولوجي.

العلاقة بين الفلسفة والنفس قديمة قدم تاريخ الفلسفة، وممن أشتهر عنه مذهب في النفس أفلاطون، وجاء من بعده تلميذه أرسطو الذي توسع في الحديث عن النفس وألف كتابا خاصا به. ومعظم ما كتبها الفلاسفة في الحضارة الإسلامية حاولوا مزج الفطرة الناشئة بعفوية من الإنسان، وبين السلوك الخارج منها، وفي ذلك يقول العاني:

وهو تصنيف واتجاه فلسفي حاول أن يمزج بين الفطرة الجبلية لإنسان كما اعتقدوها وظنوها ويبين السلوك الناجم عنها، وهي أقرب للنظرية الإغريقية من جهة، وللنظرية النفسية المعاصرة من جهة أخرى، إن هذا الاتجاه يعود أساساً إلى الفيلسوف الإغريقي "هيبو قراط" الذي اعتقد أن الإنسان على أمزجة أربعة، وتسمى الطرز وهي: المزاج السوداوي، المزاج الصفراوي، المزاجي البلغمي، والمزاج الدموي، وكل واحد من هذه الأمزجة عند وجوده بالإنسان يؤدي به إلى نمط معين من السلوك الفردي أو الحياة التي يعيشها ذلك الفرد.٦٢

وكما قيل: "هو أي نشاط جسمي أو عقلي اجتماعي أو انفعالي يصدر من الكائن الحيّ نتيجة لعلاقة دينامية، وتفاعل بينه وبين البيئة المحيطة به، والسلوك عبارة عن استجابة أو استجابات لمثيرات معينة"٦٣.

ومن هذا الاتجاه يتبين أن سلوك المنافق: "حالة مرضية غير سوية تدفع صاحبها إلى الشر وتحثه على فعله وتميل إلى العدوانية على الآخرين فتظلم نفسها وتظلم الناس من حولها، ظناً منها بضعف وهوان الناس من حولها، في حق أنفسهم أو التفريط في حقوقهم وعدم معرفتهم بقدر ذواتهم"٦٤. والسلوك في تصور الإسلام عمل أو حركة لها هدف، وتنبع من مبادئ العقيدة من هدي القرآن الكريم والسنة المطهرة، التي وفْقَها يصوغ المسلم حياته وسلوكه فيها، ويتحرك وفق

٦٢-نزار العاني، *الشخصية الإنسانية في التراث الإسلامي*(عمان، الأردن: دار الفرقان، ١٩٩٨م)، ٧٣-٧٨.

٦٣-زهران، *علم النفس الاجتماع*، ٦.

٦٤-منصور، عبد المجيد سيد أحمد، زكريا أحمد الشربيني، إسماعيل محمد الفقي، *السلوك الإنساني بين التفسير الإسلامي وأسس علم النفس المعاصر*(القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠١م)، ٨١.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

مبادئها، وإن خرج علي ذلك لا يعد مسلماً صادقاً في إسلامه ولا مؤمناً مخلصاً في إيمانه، كما هو حال المنافق، لأنه في التأثير علي هذا السلوك يمكن التحكم في الإنسان، وبما أن أفعال المنافقين تسعي إلى تغيير سلوك الفرد بعوامل نفسيه واجتماعية مختلفة كالشائعات والخداع والكذب وغيرها، فالسلوك إذاً أساسه العقل ونفسه، وليس الجسم، فالمنافق نفسه وعقله الداخلي هو المتحكم في التأثير النفسي للمرض.

هـ-مفهوم سلوك المؤمن في القرآن الكريم.

تهدف التربية الإسلامية إلى إيجاد نفسية انسانية مؤمنة التي تخشى الله وتتقيه وتحسن عبادته وتسعده في الدنيا والآخرة، "وضع القرآن الكريم صورة شاملة وصادقة لطبيعة الإنسان ودوره ووظيفته ومصيره وبناءه النفسي؛ فالقرآن الكريم ينظر إلى الإنسان كوحدة متكاملة، يتناولها من جميع جوانبها المتعددة، الروحية، والأخلاقية، والاجتماعية، والفكرية، والجسدية"٦٥.

فهو "يتميز بالاعتدال والتوازن، فلا يطغى جانب على آخر، حيث يعتبر الإسلام أن بناء الإنسان السوي يتم وفق الاتزان والاعتدال دون إفراط في جانب على حساب جانب آخر، ولهذا جمع المنهج الإسلامي بين الدنيا والآخرة في نظام الدين، وبين الروح والجسد في نظام الإنسان، وبين العبادة والعمل في نظام الحياة "٦٦.

وهذا هو سلوك المؤمن المتزن الواضح الثابت في مسيره بهدوء وبرويه من غير افراط ولا تفريط في أي جزئيه من نوازل الدنيا والآخرة، وهو نظام شامل لحياة كريمة مستقرة، وكما وصفه حيدر بقوله:

والإسلام ينطلق في فهمه للإنسان من النظرة الأخلاقية الواقعية، فلم ينظر إلى السلوك الإنساني نظرة خيالية، كما فعلت مدرسة التحليل النفسي التي تنطلق في تفسيرها للسلوك من مفاهيم وفرضيات غير واقعية، كذلك لم ينظر الإسلام إلى السلوك نظرة مادية، كما

٦٥-عدنان الشريف، *من علم النفس القرآني*(بيروت لبنان: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م)، ٤٠.

٦٦-حسن مُحَمَّد الشرقاوي، *نحو علم نفس إسلامي*(الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٤م)، ٢٤.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

فعلت المدرسة السلوكية التي اعتبرت الشخصية استجابات الفرد للمثيرات المحيطة به فالسمة الأساسية للشخصية الإسلامية هي الصفة الأخلاقية، فالإنسان المسلم لا يستمد غايته السلوكية التي يسعى إلى تحقيقها في المجتمع من ظروف مادية مستقلة عن الإنسان ٦٧.

ولاشك أن دراستنا للتفاعل السلوكي المبني من الكتاب والسنة ونتائجه يبين لنا عظمة هذه المبادئ، ويجعلنا ندرك كيف استطاع أعداء الإسلام، عندما درسوا المجتمع الإسلامي، ودرسوا المحرك الأساسي لهذا المجتمع، عرفوا كيف يستخدموا هذا المجتمع من الداخل عندما يئسوا من تدميره من الخارج ، فزرعوا النفاق بأنواعه، فإذاً سلوك المؤمن هو الذي يجعل غايته التقرب لله، والحصول على مرضاته، والمؤمن يجد نفسه ملزماً باتباع ما أمر الله به، واجتناب ما نهي الله عنه، وللإيمان من التأثير علي الإنسان ما ليس لأية قوة أخري داخلة في النفس أو خارجة عنها.

و-مفهوم سلوك المنافق في القرآن الكريم.

لابد لنا أن نبين أن النفاق لا يتوقف عند مستوى تعليمي معين، لأنه لا يعتمد على المستوى التعليمي والثقافي، وإنما يعتمد على نفسية الإنسان وقابليته على التلون وزرع الفرقة بين الناس، وقد يتخذه الكثير من الناس على أنه ذكاء اجتماعي، ونوع من مسايرة الناس ومجاملتهم وذوق رفيع في التعامل وإدارة الحديث، لكنه في العادة ناتج عن اضطراب نفسي يعاني منه المنافق، وهذا ما يجعله شخصاً غير مرغوب التعامل معه على المدى البعيد، وقد تظل هذه الصفة لصيقة به طوال حياته، ولهذه الظاهرة مردودات سلبية تؤثر في العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والمجتمع، فهي تؤدي إلى تعقيد الحياة وتفكك العلاقة بين أفراد العائلة الواحدة، فسلوك المنافق السيئ يهدد الأواصر المترابطة للآخرين أو ينهيها بشكل تام، من أجل الوصول إلى مبتغى لا قيمة له مقابل ذلك الفعل، ويؤدي الى مضار كثيرة، والى خسائر فادحة.

٦٧-فؤاد حيدر، *الشخصية في الإسلام وفي الفكر الغربي*(بيروت: دار الفكر الغربي،١٩٩٠م)، ١٧.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

وقد أشار القرآن الكريم في آيات كثيرة متعددة طبيعة سلوكهم وفصل فيهم أتم التفصيل فلم يترك شاردةً ولا واردةً إلا بينها، لحكم كثيرة متعددة منها الفرق بينه وبين سليم الإيمان لأنه سلوكه مضطرب خوف وقلق بعكس المؤمن الصادق في قوله وفعله.

بالرغم من تعدد البشر في المجتمع، برز المنافق كنوع من الآفات الاجتماعية المريضة، المنقسم على نفسه، فكأنه شخصيتان متصارعتان تعيشان في جسد واحد، إحداهما تعبر عن نفسه خلال المظاهر الخارجية التي يراها ويسمعها الناس، كالابتسامات والكلمات، والأخرى تعبر عن نفسها بالمشاعر والاعتقادات الداخلية، التي لا يطلع عليها أحد إلا من شاكلها في النفاق كمشاعر الحب والبغض، واعتقادات الإيمان والكفر وهذا الصراع ينبع من أن المنافق ليس أميناً مع نفسه، ولا مع الناس، فهو يكذب على نفسه ليرضي الناس، ويكذب على الناس ليخدعهم عن حقيقته، والواقع أنه لا يخدعهم، لأن أعماله لا تصدق أقواله، وهذا التعارض بين ما يقوم وما يفعل هو الذي يكشف للناس حقيقته مهما حاول إخفاءها، فهو إذن يخدع نفسه، ولا يخدع الناس، فضلاً عن أن يخدع خالقه الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور٦٨.

فإذاً سلوك المنافق سيئ بدليل وصف الله له في مواطن كثيره، وتحذير النبي ﷺ من أخلاقهم وصفاتهم، فهم لا يقيمون وزناً ولا يهبئون بالمقصد العام وهي مراعاة القيم الأخلاقية والاجتماعية، يغلب على سلوكهم الضرر للجميع، والرغبة في استغلال الآخرين حياتهم بنائها على الغش والخداع والنصب والاحتيال والكذب والرغبة في الانتقام.

ثانياً: الإرشاد والعلاج النفسي.

غالبا ما تتمثل الصراعات النفسية في التناقض بين قوى الخير والشر، وبين الغرائز المحرمات، من ذلك الشعور بالذنب والخطأ الذي كثيراً ما يتسبب في القلق والفزع والعدوان واضطراب الطبع

٦٨-أحمد عبد الحميد غراب، "شخصية المنافق في القرآن الكريم"، *مجلة الأمة* (١٩٨٣م)، العدد٣٤، ٢٠-٢٣.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

والسلوك. بيد أن أصول الشخصية الأساسية في البيئة الإسلامية لا تزال ترتكز على القيم الحضارية المنبثقة من تعاليم الإسلام لأن هذه القيم تبقى من العناصر الرئيسية الواقية من المرض النفسي والمخففة لوطأته عند حدوثه.

وتعتمد الصحة النفسية أساساً على الالتزام بفطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها، وهي عقيدة التوحيد، وعبادة الله تعالى، واتباع المنهج الذي وضعه للإنسان في الحياة، والذي بينته لنا السنة النبوية، وما دام قلب الإنسان على الفطرة السليمة المكملة بالشريعة المنزلة، يكون الإنسان سوياً متمتعاً بالصحة النفسية، ولكن إذا ما تأثر الإنسان بمؤثرات غير ملائمة من البيئة يكون من شأنها تحول القلب عن فطرته السليمة المستقيمة، وأصيب الإنسان، أي بالمرض النفسي.

فمعظم علماء النفس المحدثين يرون أن الإرشاد النفسي الديني يعمل على إصلاح السلوك لما له من تأثير قوي في النفس وفي السلوك، فالقرآن الكريم حافل بالآيات الكريمة التي تعتبر منهجاً للهداية والشفاء والاستقامة بالسلوك، لقول الله تعالى:(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى)٦٩وقوله تعالى: (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَاراً) ٧٠وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ)٧١وقوله تعالى: (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ)٧٢.

أن الإرشاد النفسي الديني كإرشاد ديني تظهر في أنه يتناول معطيات دينية ذات أساس سماوي وليس وصفي، تمس الجوانب الروحية والأخلاقية في الإنسان مما يجعل له طبيعة خاصة، وقد أكد الكثير من علماء الإسلام على مفعول تعاليم الدين بقصد تزكية النفس وعلاجها بواسطة التوبة والاستبصار واكتساب الاتجاهات الجديدة الفاضلة، وأن شخصية المسلم ترتكز على الإيمان بالقضاء والقدر والبر والتقوى وعلى مسئولية الاختيار وطلب العلم والصدق والتسامح والأمانة والتعاون

٦٩-القرآن، ١٨: ١٣.

٧٠-القرآن، ١٩: ٨٢.

٧١-القرآن، ١٠: ٥٧.

٧٢-القرآن، ٢٦: ٨٠.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

والقناعة والصبر والاحتمال والقوة والصحة الخ، وكل هذه الخصال تشجع على تفتح النفس وعلاجها بقصد السعادة النفسية الشاملة.

فتزكية النفس وتربيتها وتوجيهها وذلك: "العناية بحسن تكوين الشخصية منذ الطفولة، وتناسق نوها النفسي وتآزر عناصرها الوراثية الاجتماعية، وتطهيرها من الأدناس والسمو بها عن النقائص، ووضعها في المكان الذي يرتفع بقدرها، ويحقق فيها المعنى الإنساني المتكامل"٧٣.

ومن هنا يتجلى مفعول العلاجات التقليدية في البيئة الإسلامية، الأمر الذي يفرض على الأطباء المحدثين أن يأخذوا هذه الطرق بعين الاعتبار ويدرسونها كي تستفيد ممارستهم الخاصة بتعاليمها وبذلك يحصل التنسيق والتكامل المنشود، وكذلك على الصعيد الفرد فتدارك المرض وعلاجه وسيلة من وسائل العلم والتعرف على خفاياه، وقد ألف فلاسفة الإسلام كتباً قيمة في الأخلاق تهدف إلى تزكية النفس وتطهيرها، "نذكر من هذه الكتب:

أ-ألف ابن مسكوبه(ت٤٣١هـ) كتاب "تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق".

ب-ألف الراغب الأصفهاني(ت٥٠٢هـ) كتاب "الذريعة إلى مكارم الشريعة".

ج-ألف أبو حامد الغزالي(ت٥٠٥هـ) كتاب "إحياء علوم الدين".

واذا نظرنا لدور العلاج وشروطه لوجدناها في الجملة تتفق علي أن مرض النفاق وجدت أسبابه فقابلية علاجه ممكنة، وخاصةً إذا فهم المريض طريق الاتصال، وتكون حالته بها تناسق لحل مشكلاته فكلما ازداد قلقاً يزداد دافعيته نحو التحسن ويكون ناجحاً أكثر.

٧٣-معروف زريق، *علم النفس الإسلامي* (دمشق: دار المعرفة، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٩م)، ١٧٢.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id